احذري[١]

« قصيدةٌ مترجمةٌ عن المَلَك »

ترجَمنا عن الشَّيطان قصيدة (لحوم البحر) وهذه ترجمة عن أحد الملائكة ؛ رآني جالساً تحت الليل ، وقد أجمعْت أن أضعَ كلمةً للمرأة الشَّرقيَّة فيما تحاذِرُه أو تَتَوجَّس منه الشَّرَّ ؛ فتخايلَ الملك بأضوائه في الضَّوء ، وسَنَح لي برُوحه ، وبَثَّ فيَّ من سرِّه الإلهيِّ ، فجعلت أنظر في قلبي إلى فجرٍ من هذا الشِّعر ينبُع كلمةً كلمةً ، ويُشرق معنىً معنىً ، ويستطير جملةً جملةً ، حتَّى اجتمعت القصيدة وكأنَّما سافرت في حلْمٍ من الأحلام ، فجئت بها .

وانطلق ذلك الملَك ، وتركها في يدي لغةً من طهارة المرأة الشَّرقيَّة في ملائكيَّتها .

* * *

احذري . . . !

« اْحذري أيَّتُها الشَّرقيَّة ، وبالغي في الحذر ، واجعلي أخصَّ طباعِك الحذَر وحدَه .

اْحذري تمدُّن أوربة أن يجعل فضيلتك ثوباً يُوَسَّع ، ويُضيَّق ، فلُبس الفضيلة على ذلك هو لبسُها ، وخلعها . . .

اْحذري فنَّهم الاجتماعيَّ الخبيث ؛ الَّذي يَفرض على النِّساء في مجالس الرِّجال أن تؤدِّي أجسامُهنَّ ضريبة الفنِّ . . .

اْحذري تلك الأنوثة الاجتماعيَّة الظَّريفة ؛ إنَّها انتهاءُ المرأة بغاية الظَّرف والرقَّة إلى . . . إلى الفضيحة .

اْحذري تلك النِّسائية[٢] الغزليَّة ، إنَّها في جملتها ترخيصٌ اجتماعيٌّ للحرَّة

---

(١) انظر « عود على بدء » من كتابنا « حياة الرافعي » . (س) .

(٢) نحن نستعمل : النِّسائية والنِّسوية ، وكلاهما عندنا صحيح ، والاختيار في كلِّ موضع للأفصح في موقعه . (ع) .

أن . . . أن تشاركَ البغيَّ في نصف عملها .

أيَّتُها الشَّرقيَّة ! ٱحذري ! ٱحذري !

* * *

ٱحذري التمدُّن ؛ الَّذي اخترع لقتل لقَب الزَّوجة المقدَّس لقبَ : « المرأة الثَّانية » . . .

واخترع لقتل لقب العذراء المقدَّس لقب : « نصف عذراء » . . .

واخترع لقتل دِينيَّة معاني المرأة ، كلمة : « الأدب المكشوف » . . .

وانتهى إلى اختراع السُّرعة في الحبِّ . . . فاكتفى الرَّجل بزوجة ساعة . . .

وإلى اختراع استقلال المرأة ، فجاء بالَّذي اسمُه : (الأبُ) من الشَّارع ، لتُلقِي بالَّذي اسمُه : (الابن) إلى الشَّارع . .

أيَّتها الشَّرقيَّة ! ٱحذري ! ٱحذري !

* * *

« ٱحذري وأنت النَّجْمُ الَّذي أضاء منذ النُّبوَّة ، أن تقلِّدي هذه الشَّمعة الَّتي أضاءت منذ قليل .

إنَّ المرأة الشَّرقيَّة هي استمرارٌ متَّصلٌ لآداب دينها الإنسانيِّ العظيم .

هي دائماً شديدةُ الحِفاظ ، حارِسةٌ لحوْزتها ؛ فإنَّ قانون حياتها دائماً هو قانون الأمومة المقدَّس .

هي الطُّهر ، والعفَّة ، هي الوفاء ، والأَنَفة ، هي الصَّبر ، والعزيمة ، هي كلُّ فضائل الأمِّ .

فما هو طريقها الجديد في الحياة الفاضلة إلا طريقها القديم بعينه ؟

أيَّتُها الشَّرقيَّة ! ٱحذري ! ٱحذري !

* * *

« احذري (ويحك !) تقليد الأوربيَّة الَّتي تعيش في دنيا أعصابِها محكومةً بقانون أحلامها . . .

لم تعد أنوثتها حالةً طبيعيَّةً نفسيَّة فقط ، بل حالةً عقليَّة أيضاً تشُكُّ ، وتجادل . . .

أنوثةٌ تفلسَفَت فرأت الزَّواجَ نصفَ الكلمةِ فقط . . . والأمَّ نصف المرأة فقط . . .

ويا ويلَ المرأةِ حين تنفجرُ أنوثتها بالمبالغةِ العقليَّة ! فتنفجرُ بالدَّواهي على الفضيلة . . .

إنَّها بذلك حُرَّةٌ مساويةٌ للرَّجل ، ولكنَّها بذلك ليست الأنثى المحدودة بفضيلتها .

أيَّتُها الشَّرقيَّة ! احذري ! احذري !

* * *

« احذري خَجَلَ الأوربيَّة المترجِّلةِ من الإقرار بأنوثتها .

إنَّ خَجل الأنثى من أنَّها أنثى يجعلُ فضيلتَها تخجلُ منها . . .

إنَّه يُسقِطُ حياءَها ، ويكسو معانيها رُجُولةً غيرَ طبيعيَّة .

إنَّ هذه الأنثى المترجِّلة تنظر إلى الرَّجل نظرةَ رجلٍ إلى أنثى . . .

والمرأةُ تعلو بالزَّواج درجةً إنسانيَّةً ، ولكن هذه المكذوبةَ تنحطُّ درجةً إنسانيةً بالزَّواج .

أيَّتُها الشَّرقيَّة ! احذري ! احذري !

* * *

« احذري تَهوُّسَ الأوربيَّة في طلب المساواة بالرَّجل .

لقد ساوتْهُ في الذهابِ إلى الحلاَّق ، ولكن الحلاَّق لم يجد في وجهها اللِّحْية . . .

إنَّها خُلقت لتَحبيبِ الدُّنيا إلى الرَّجل ، فكانت بمساواتها مادَّةَ تبغيض .

العجيبُ : أنَّ سرَّ الحياة يأبَى أبداً أن تتساوى المرأة بالرَّجل إلا إذا خَسِرته !

والأعجبُ أنَّها حين تخضع ، يرفعُها هذا السِّرُّ ذاتُه عن المساواة بالرَّجل إلى السِّيادة عليه .

أيَّتُها الشَّرقيَّة ! أحذري ! أحذري !

* * *

« أحذري أن تَخسري الطِّباعَ الَّتي هي الأليقُ بأمٍّ أنجبت الأنبياءَ في الشَّرق .

أمٌّ عليها طابَعُ النَّفسِ الجميلة ، تنشرُ في كلِّ موضعٍ جَوَّ نفسها العالية .

فلو صارت الحياةُ غيماً ، ورَعداً ، وبَرقاً ؛ لكانت هي فيها الشَّمسَ الطَّالعة ؛ ولو صارت الحياة قَيْظاً ، وحَروراً ، واختناقاً ؛ لكانت هي فيها النَّسيمَ يتخطَّر .

أمٌّ لا تُبالي إلا أخلاقَ البطولةِ وعزائمَها ، جَدَّاتُها وَلَدْنَ الأبطال .

أيَّتُها الشَّرقيَّة ! أحذري ! أحذري !

* * *

« أحذري هؤلاء الشُّبَّان المتمدِّنين بأكثرَ من التَّمدُّن . . .

يُبالغُ الخبيثُ في زينته ، وما يدري أنَّ زينته مُعلنةٌ أنَّه إنسانٌ من الظَّاهر .

ويبالغ في عَرْض رُجولته على الفتيات ، يُحاولُ إيقاظَ المرأةِ الرَّاقدةِ في العذراء المسكينة !

ليس لامرأةٍ فاضلةٍ إلا رَجُلها الواحد ؛ فالرِّجال جميعاً هم مصائبها إلا واحداً .

وإذا هي خالطت الرِّجال ، فالطبيعيُّ أنَّها تخالطُ شَهوات ، ويجب أن تحذرَ ، وتُبالغ .

أيَّتُها الشَّرقيَّة ! أحذري ! أحذري !

* * *

« أحذري ؛ فإنَّ في كلِّ امرأةٍ طبائعَ شريفةً مُتَهوِّرةً ؛ وفي الرِّجالِ طبائعُ خسيسةٌ متهورة .

وحقيقة الحجاب : أنَّه الفصلُ بين الشَّرفِ ، فيه الميلُ إلى النُّزول ، وبين الخسَّة فيها الميلُ إلى الصُّعود ، فيكِ طبائع الحبِّ ، والحنان ، والإيثار ،

والإخلاص ؛ كلَّما كبِرْتِ كبِرَتْ .

طبائعُ خَطرة ، إنْ عَمِلتْ في غير موضعها . . . جاءت بعكسِ ما تعمله في موضعها .

فيها كلُّ الشَّرف ما لم تنخدع ، فإذا انخدعت ؛ فليس فيها إلا كلُّ العار .

أيَّتُها الشَّرقيَّة ! ٱحذري ! ٱحذري !

* * *

« ٱحذري كلمةً شيطانيَّةً تسمعينها ، هي فنِّيَّة الجمال ، أو فنِّيَّة الأنوثة .

وافهميها أنتِ هكذا : واجباتُ الأنوثة . . وواجباتُ الجمال .

بكلمةٍ يكون الإحساس فاسداً ، وبكلمةٍ يكون شريفاً .

ولا يَسقطُ الرَّجل امرأةً إلا في كلماتٍ مُزَيَّنةٍ مثلِها . . . . .

يجب أن تتسلَّح المرأة مع نظراتها ، بنظرةِ غضبٍ ، ونظرةِ احتقار .

أيَّتُها الشَّرقيَّة ! ٱحذري ! ٱحذري !

* * *

« ٱحذري أن تُخْدَعي عن نفسك ، إنَّ المرأةَ أشدُّ افتقاراً إلى الشَّرف منها إلى الحياة .

إن الكلمةَ الخادعة ؛ إذ تقال لك ، هي أختُ الكلمةِ الَّتي تُقال ساعةَ إنفاذ الحكم للمحكومِ عليه بالشَّنْق . . .

يغتَرُّونكِ بكلماتِ الحبِّ ، والزَّواج ، والمال ، كما يقال للصَّاعِد إلى الشنَّاقة[١] : ماذا تشتهي ؟ ماذا تريد ؟

الحبُّ ؟ الزَّواج ؟ المال ؟ هذه صلاة الثَّعلب حين يَتظاهرُ بالتَّقوى أمام الدَّجاجة . . .

---

(١) كلمة « المشنقة » ليست عربيةً ، لكنَّ لها وَجْهاً في الاشتقاق ، غير أنَّ كسرة ميمها تجعلها ثقيلة ، وكان اسمها قديماً (الشَّنَّاقة) ؛ ذكرها ياقوت في « معجم الأدباء » وهي أفصح ، وأخفّ ، فلعلَّ الشَّنَّاقة بعد هذا تشنق المشنقة . (ع) .

الحبُّ ؟ الزَّواج ؟ المال ؟ يا لحمَ الدَّجاجة ! بعضُ كلماتِ الثَّعلب هي أنياب الثَّعلب . . .

أيَّتُها الشَّرقيَّة ! ٱحذري ! ٱحذري .

* * *

« ٱحذري السُّقوط ؛ إنَّ سقوطَ المرأة لِهوْلِه وشدَّته ثلاثُ مصائب في مصيبة : سقوطُها هي ، وسقوطُ مَنْ أوجدوها ، وسقوطُ مَنْ تُوجِدهم !

نَوائبُ الأسرةِ كلُّها قد يَسترها البيت ، إلا عارَ المرأة ؛

فيَدُ العار تَقلِبُ الحِيطان ، كما تقلب اليدُ الثَّوبَ ، فتجعل ما لا يُرَى هو ما يُرى .

والعارُ حكمٌ يُنفِّذه المجتمع كلُّه ، فهو نَفيٌ من الاحترام الإنسانيِّ .

أيَّتُها الشَّرقيَّة ! ٱحذري ! ٱحذري !

* * *

« لو كان العارُ في بئرٍ عميقةٍ ؛ لقلبها الشَّيطان مِئذنةً ، ووقف يُؤذِّن عليها .

يفرح اللَّعينُ بفضيحة المرأة خاصَّةً ، كما يفرح أبٌ غنيٌّ بمولود جديدٍ في بيته .

واللصُّ ، والقاتلُ ، والسِّكِّير ، والفاسق ، كلُّ هؤلاء على ظاهر الإنسانيَّة كالحرِّ ، والبرد .

أمَّا المرأة حين تسقط ، فهذه من تحت الإنسانيَّة هي الزَّلزلة .

ليس أفظع من الزَّلزلة المرتجَّةِ تشقُّ الأرض ، إلا عارَ المرأة حين يشقُّ الأسرة .

أيَّتُها الشَّرقيَّة ! ٱحذري ! ٱحذري ! » .

* * *